# مواقع الرجاء ومظانه مع بيان طرق تحصيله

*محمد إلياس


## *Abstract*

*The main theme of my article is to describe the methods and its attainments for seeking Al-Raja'a (Hope) to get will of ALLAH Almighty.*

*The salient features in this respect are as follow:*

- *To obey the commands of ALLAH Almighty by a person who desires the Blessings of his Lord in sound faith and obedience.*
- *Hope of a sinful person from his Kind Benefactor to eliminate his sins and the ways to please his Creator. Similarly pray of an ill man is also accepted and gives relief to him.*

*In this article the sacred ways and means as described by Sharia'h have been very clearly elaborated; i.e.: firm and sound belief with ALLAH Almighty, maximum try to act upon Sharia'h ways of life, and finally obedience of Holy Prophet (P.B.U.H.) as His obedience of ALLAH Almighty.*


الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام علي خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالرجاء مطلوب في ديننا الإسلام، لكن كل أمر محمود لا يكون محمودا في كل حالة وفي كل وقت، بل لكل أمر مطلوب شرعا حدوده ومواقعه ومظانه، فالصلاة أمر مطلوب شرعا، لكن ليس كل وقت لا يصلح للصلاة، والصوم محمود شرعا، لكن لا يصلح كل يوم للصيام، كذلك الرجاء من الله تعالى من أهم أحكام الدين الإسلامي وأهم ما يحث عليه القرآن والسنة، لكن هناك مواقع ومظان تصلح للرجاء ومواقع ومظان أخرى لا تصلح له، لكن ما هذه المواقع والمظان؟ وكيف يحصل العبد على هذه الفضيلة الهامة أو ما هي الطرق التي توصل العبد إلى هذه الفضيلة؟ هذا ما سنحاول دراسته في الصفحات الآتية، والله تعالى هو الموفق.

المبحث الأول

إن للرجاء مواقع ومظان مختلفة، أكثرها محمودة ومطلوبة في الشرع، لكن البعض منها مما ليس من الرجاء الشرعي في شيء، وإنما هو رجاء من حيث اللغة فقط، لكن لنبدأ كلامنا بنقل كلام للإمام البيهقي رحمه الله تعالى الذي نقله عن أبي عبد الله الحليمي رحمه الله تعالى فقال:

*المحاضر بقسم الحديث الشريف كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

وهو على وجوه:

أحدها: رجاء الظفر بالمطلوب، والوصول إلى المحبوب،

والثاني: رجاء دوامه بعد ما حصل،

والثالث: رجاء دفع المكروه وصرفه كي لا يقع،

والرابع: رجاء الدفع والإماطة لما قد وقع،

وكل ذلك حسن جميل على التفصيل الذي سأذكره للدعاء، وإذا استحكم الرجاء حدث عنه من التخشع والتذلل نحو ما يحدث عن الخوف إذا استحكم، لأن الخوف والرجاء متناسبان، إذ الخائف في حال خوفه يرجو خلاف ما يخافه، ويدعو الله عز وجل به، ويسأله إياه، والراجي في حال رجائه خائف خلاف ما يرجو، ويستعيذ بالله منه، ويسأله صرفه، ولا خائف إلا وهو راج، ولا راجي إلا وهو خائف - وبسط الكلام فيه إلى أن قال - ولأجل تناسب الأمرين قرن الله تعالى بهما في غير آية من كتابه فقال: ﴿ادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (1) (2)﴾.

والآن نذكر بعض مواقع الرجاء ومظانه:

الموقع الأول: رجاء المطيع قبول ربّه طاعته بفضله ورحمته

إذا وفق الله لعبد لعمل خير فإنه إذا نظر إلى عمله ينبغي له أن يتصور أنه وقع في عمله تقصيرات وأنه لم يؤد حقه ولم يأت به على وجهه، وعلى هذا ينبغي له أن يستغفر الله تعالى على ذلك، كما نقل القرآن الكريم عن المتهجدين: قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (16) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (17) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (18)﴾،

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"أي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم ولم يتفرغوا فيه للعبادة، وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه، وفي الآية من الإشارة إلى مزيد خشيتهم وعدم اغترارهم بعبادتهم ما لا يخفى، وحمل الاستغفار على حقيقته المشهورة هو الظاهر وبه قال الحسن[4]".

---

(1) سورة الأعراف، جزء من الآية برقم (57).

(2) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الثاني عشر من شعب الإيمان، (3/2).

(3) سورة الذاريات، الآية برقم (16-17-18).

(4) روح المعاني للإمام الآلوسي، (8/27).

لكن العبد إذا نظر رحمة الله الواسعة ينبغي له أن يرجو أن الله سبحانه وتعالى سيقبل عمله على ما فيه من التقصيرات لأنه واسع الفضل والمغفرة، وأنه تعالى لا يشدد على عباده بل هو أرحم لهم من الأم لابنه.

الموقع الثاني: رجاء المطيع أن الله سيثيب على هذه الطاعة

لأن الله تعالى وعد على هذه الطاعات بالأجر والثواب في الآخرة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى لا يخلف الميعاد،

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [5]﴾،

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"قوله تعالى: (أُولَئِكَ) المنعوتون بالنعوت الجليلة (يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ)، أي: يؤملون تعلق رحمته سبحانه بهم أو ثوابه على أعمالهم، ومنها تلك الغزاة فهي (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ): تذييل لما تقدم وتأكيداً له، ولم يذكر المغفرة فيما تقدم لأن رجاء الرحمة يدل عليها، وقدم وصف المغفرة لأن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح[6]".

فالعمل الصالح يبعث العبد على الرجاء من الله كما أن الرجاء من الله يبعث العبد على العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا[7]﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صامرمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه[8]".

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أربعون خَصلةً أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخَصْلةٍ منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة[9]".

وعن أبي هريرةرضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل

---

(5) سورة البقرة، الآية برقم (218).

(6) روح المعاني للإمام الآلوسي، (44/2).

(7) سورة الكهف، جزء من الآية برقم (110).

(8) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية برقم (1768)، وأخرجه الإمام مسلمفي صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح برقم (1268)،
كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(9) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة برقم (2438)،
وأخرجه الإمام أبوداود أيضاً في سننه، برقم (1433)،
وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (6537)،
كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.

الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خيرٌ ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من بابالجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الر ّيان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة" فقال أبوبكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي يارسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم[10]".

ومن ثم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكثرة حرصه بنجاة أمته وإرشادهم إلى سبل الحق وطريق السوي المستقيم، يحض المؤمنين بالقيام على مهام الطاعات حتى لا يحرموا من رحمة الله تعالى ودخول جنته.

الموقع الثالث: رجاء العبد من الله رحمته في أمور دنياه

ينبغي للعبد أن يرجو من ربه رحمته إذا أصيب بمصيبة من مصائب الدنيا، وأن لا يبتلي باليأس بل ينتظر الفرج من الله تعالى في الشدة والعسر فإن مع العسر يسرا وأن يحسن الظن بربه،كما فعل سيدنا يعقوب عليه السلامعند فقده ولديه يوسف وبنيامين﴿واوقَالَ لجنيهسأَيضاً ٰيَا بَنِيَّ اذهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ [11]﴾،

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله[12]".

الموقع الرابع: الرجاء من الله بسبب الرخص المشروعة

ينبغي للعبد إذا استعمل رخصه أن يرجو من الله أنه يقبلها، لأنه هو الذي جعل الدين بهذه الرخص، فيرجي منه أن ييسر على عباده الحساب في الآخرة،

روى الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في شعب الإيمان عن المعتمر بن سليمان قال: قال لي أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر! حدثني بالرخص، لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به[13].

الموقع الخامس: رجاء المذنب التائب إلى الله عزوجل

من أذنب ذنوباً، ثم تاب وندم وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير ورجع إلىالله تعالى بحيث لا يرجو إلامغفرته وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه، ويكون على أملٍ أن تقبل توبته عند ربه ويغفر ذنبه بهذه التوبة، ويكون على أملٍ أيضاً أن يتقبله الله تعالى في زمرة الصالحين فحينئذٍ يرجى له المغفرة وقبول التوبة،

عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "قال الله

---

(10) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين برقم (1764)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر برقم (1705)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(11) سورة يوسف، الآية برقم (87).

(12) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب استجابة الدعاء في غير قطيعة رحم برقم (3533)، وأخرجه الإمام أبوداود أيضاً في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الظن برقم (4341)، وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة برقم (7615)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(13) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الثاني عشر من شعب الإيمان، (7/2).

تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً [14]"،

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي"، فهذا في مقدور الله عز وجل ولا يعجزه أحد، ورحمته وسعت كل شيء،

وقوله "يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك فهي فرصة عظيمة لمن قصّر في حق الله، فالباب لم يسد ومازال مفتوحا لكل من أراد أن يتوب ويرجع وينيب إلى الله تعالى[15].

وعن أبي هريرةرضي الله تعالى عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن عبداً أصاب ذنباً وربّما قال: أذنبت ذنباً، فقال: ربّ أذنبت وربّما قال: أصبت فاغفر لي فقال ربه: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: ربّ أذنبت أو أصبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربّما قالأصاب ذنباً قال: ربّ أصبت، أو قال: أذنبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب يأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء[16]".

الموقع السادس: الرجاء عند دعاء الرب تبارك وتعالى

ينبغي للعبد أن أن يكثر دعاء ربه تعالى كما ينبغي له أن يرجو أن الله سيقبل دعاءه،

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه[17]"،

و قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا دعا أحدكم فلايقول إن شئت، وليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإنّ الله لا يعظم عليهشيءٌ أعطاه[18]".

الموقع السابع: الرجاء و حسن الظن بالله عند الموت

الرجاء وحسن الظن بالله وإن كان مطلوبا في جميع حالات المؤمن لكن له أهمية كبيرة عند موته،

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قبل موته بثلاث قال: "لا يموتن

---

(14) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده برقم (3463).

(15) كتاب الخوف والرجاء للشيخ صفوت عبدالفتاح محمود، (187).

(16) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ برقم (6953)،

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (4953)،

كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(17) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم برقم (3401).

(18) الأدب المفرد للإمام البخاري، بابليعزم الدعاء فإنّ الله لا مكره له، (403/2).

أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن[19]".

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شابٍ وهو في الموت، فقال: "كيف تجدك؟ قال: والله يارسول الله إنيّ أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو، وأمنه مما يخاف[20]".

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في هذا الصدد:

> ثمّ إنّ غلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن، لأنّ الخوف جارٍ مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل، فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف، فإنّ ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنّه يقوّي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه ولا ينبغي أن يفارق أحدٌ الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى، فإنّ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه[21].

الموقع الثامن: رجاء المكروب برحمة ربه

من مواقع الرجاء أن يعلق العبد أمله ورجاءه برحمة ربه وفضله وكرمهدائماً ،

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت[22]".

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج[23]".

قال الشيخ المباركفوري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:

---

(19) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله عندالموت برقم (5124 و 5125)،
وأخرجه الإمام أبو داود أيضاً في سننه برقم (2706)،
وأخرجه الإمام أحمد أيضاً في مسنده برقم (14664)،
كلهم من حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله تعالى عنه.

(20) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الجنائز، باب ما جاءفي أنّ المؤمن يموت بعرق الجبين برقم (905)،
وأخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (4251)،
كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

(21) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (266/3).

(22) أخرجه الإمام أبوداود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح برقم (4426)،
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، أول مسند البصريين، حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة برقم (19535)،
كلاهما من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة رضي الله تعالى عنه.

(23) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في انتظار الفرج وغير ذلك برقم (3494).

قوله: "سلوا الله من فضله" أي بعض فضله فإن فضله واسع وليس هناك مانع،

وقوله: "فإن الله يحب أن يسأل" أي من فضله لأن يده تعالى ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار،

وقوله:"وأفضل العبادة انتظار الفَرَج" أي ارتقاب ذهاب البلاء والحزن بترك الشكاية إلى غيره تعالى، وكونه أفضل العبادة لأن الصبر في البلاء انقياد للقضاء،والفَرَج بفتحتين (بالفارسية كشايش)،يقال فَرَّج الله الغم عنه أي كشفه وأذهبه[24].

قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في هذا الشأن:

وفي رواية ابن بشران: انتظار الفَرَج من الله عبادة، ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل[25]".

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا[26]﴾،

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن هذه الآية لما نزلت، بشَّر بها أصحابه وقال: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ[27]"، وذكر من قال ذلك، حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت يونس، قال: قال الحسن: لما نزلت هذه الآية ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبْشِرُوا أتاكُمُ اليُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"،

وقال أيضاً: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما مسرورا فَرِحا وهو يضحك، وهو يقول: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"،

وقال أيضاً: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله:(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)،ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشَّر أصحابه بهذه الآية، فقال: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"،

وقال أيضاً: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن معاوية بن قرة أبي إياس، عن رجل، عن عبد الله بن مسعود، قال: لو دخل العسر في جُحْر، لجاء اليسر(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) فيدخل عليه، لأن الله يقول[28]".

وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى:

---

(24) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للشيخ المباركفوري، باب في دعاء الحفظ، (22/10).

(25) شعب الإيمان للإمام البيهقي، (204/7).

(26) سورة الشرح، الآية برقم (4 و 5).

(27) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، (495/24).

(28) المرجع السابق.

حدثنا أبو سعيد المديني، حدثني أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، ثنا محمد بن إبراهيم بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، قال: حدثني زهرة بن عمرو التيمي، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: يا غلام! ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن؟ قال: بلي، يا رسول الله! قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسئل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما هو كائن، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد العباد على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا[29].

وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا علي بن الجعد، أنبأ شعبة، عن معاوية بن قرة، عمن حدثه، عن عبد الله بن مسعود، قال: لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل معه، ثم قال: قال الله عز وجل: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا[30]).

وقال الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى أيضاً:

حدثنا خالد بن خداش، قال حدثني عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أسلم، أن أبا عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: مهما ينزل بأمرك شدة يجعل الله له بعدها فرجا، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإنه يقول: (وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[31])[32].

الموقع التاسع: الرجاء في الآخرة

وكما أن رجاء المؤمن وهو في الدنيا يفيده كذلك رجاؤه في الآخرة يفيد في بعض الأحيان،

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يخرج رجلان من النار فيعرضان على الله ثم يؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما، فيقول: يا ربّ ! ما كان هذا رجائي، قال وما كان

---

(29) الفرج بعد الشدة للإمام ابن أبي الدنيا، (3/1).

(30) المرجع السابق.

(31) سورة آل عمران، جزء من الآية برقم (200).

(32) الفرج بعد الشدة للإمام ابن أبي الدنيا، (8/1).

رجاؤك؟ قال كان رجائي إذا أخرجتني منها أن لا تعيدني فيرحمه الله، فيدخله الجنة[33]".

المبحث الثاني

لقد رأينا في الصفحات السابقة أن الرجاء من أهم المأمورات والمطالب الشرعية، وقد تعرض العلماء خاصة علماء السلوك والتصوف للطرق والأسباب التي يمكن بها تحصيل هذه الفضيلة العظيمة، و نذكر هنا شيئا من هذه الطرق بفضل الله تعالى:

من الذي يحتاج إلى هذه المعالجات؟

أول سؤال نواجهه في هذه المسألة هو: من الذي يحتاج إلى مثل هذه المعالجات؟ أو من الذي تفيده هذه المعالجات؟ وقد بحث علماء السلوك في هذا السؤال أيضاً، وذلك لأن مراعاة حد الاعتدال مطلوب في كل أمر من أمور الشريعة، فلا تفيد هذه المعالجات لمن أدته إلى الرجاء المفرط، لأن هذه المعالجات لا تزيده إلا إفراطا إلى تفريط،

فيقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

> إعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال، فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموما مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة[34].

ثم يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مدعما رأيه بالأدلة الشرعية، وموضحا خطأ من لا يراعي مثل هذه الأمور من الوعاظ والخطباء:

> فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا إلى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها، فإن المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها، وخير الأمور أوساطها، فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط، وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء، بل المبالغة في التخويف أيضاً تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب، فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية، ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس، ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء، كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد

---

(33) أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه، باب حسن الظن بالله، ذكر البيان بأنّ حسن الظن بالمعبود جل وعلا قد ينفع في الآخرة لمن أراد الله به الخير برقم (632)، (400/2).

(34) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (248/3).

فسادا وازداد المنهمكون في طغيانهم تماديا، قال علي كرم الله وجهه: إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله[35].

كيف تستعمل هذه المعالجات ومن الذي يستعملها؟

إن مثل هذه المعالجات من الطب الروحاني والإيماني، فكما أن الطب الجسماني لا يحسن استعماله كل أحد، وإنما يحُتاج فيه في كثير من الأحيان إلى الطبيب، لأنا إذا هذا الدواء نافع لمعالجة الحمى، مثلا فهذا لا يعني أنه يفيد كل مصاب بالحمى بل يمكن أن يفيد بعضا ويضر آخرين، كذلك الطب الروحاني والمعالجات الروحانية التي لم ينص عليها القرآن والسنة وإنما استنبطها مهرة هذا الميدان ينبغي أن يكون استعمالها بمشورة طبيب هذا الحقل، يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى موضحا هذه النكتة:

> ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا، لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان[36].

هذا، ويمكن أن نقسم الأسباب التي تعين على حصول الرجاء إلى قسمين:

المراقبة و النظر في أحواله وأحوال الكون ومراقبتها، والثاني النظر في نصوص الشريعة واستقراؤها، ونبين فيما كلا منهما بشيء من التفصيل:

أولاً الاعتبار والمراقبة

الرجاء شعبة من معرفة الله، معرفة صفاته التي تتعلق برحمته، وقد جعل القرآن الكريم النظر في الكون ومظاهره المختلفة وسيلة وذريعة لمعرفة الله سبحانه و تعالى ومعرفة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ [37]﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا، واقتداءً بالهدي القرآني استعمل أهل السلوك الاعتبار والنظر في أمور الكون ومراقبتها لترسيخ المعرفة بالله والمعرفة بصفاته، وهذا الذي فعلوه لتحصيل الرجاء كما سنراه خلال السطور الآتية وخاصة في عبارات الغزالي وغيره،

ثم إن الاعتبار والمراقبة لتحصيل الرجاء له بعض جوانب مهمة، نذكرها بشيء من التفصيل:

1. أن ينظر في العناية الإلهية في هذا الكون ومظاهر لطف الله وكرمه فيه، كيف يخلق الله الأشياء وكيف يربيها وكيف يهيئ الأسباب لمنافعها ودفع الضرعنها، وأن العناية الإلهية لم تقتصر على قضاء حوائج خلقه بل أعطى كل شيء مايزينه ويحسنه، ويعين الانسانَ في هذا الاعتبار والمراقبة التدبر في القرآن الكريم ومعرفة أحوال الكون من الجمادات والنباتات والحيوانات وما إلى ذلك بواسطة العلم الكوني

---

(35) المرجع السابق.

(36) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (249/3).

(37) سورة الغاشية، الآية برقم (17-18-19-20).

(Science)، والنظر في هذا كله يجعل الإنسان يوقن بأن الله لا يريد بهذا الكون إلا خيرا ورحمة وأن رحمته سابقة على غضبه، ثم يستدل الإنسان منه على أن الله تعالى لا يريد به إلا خيرا، وهذا هو الرجاء.

2. أن يذكر الإنسان ما جرى عليه من الأحوال وكيف أدركته العناية الإلهية واللطف الرباني في كل لحظة من حياته، وهذا يدل على أن ربه لطيف به،

فيقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مبينا هاتين النكتتين:

"أما الاعتبار فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود، وإنما كان يفوت به مزية جمال، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد، بل إذا نظر الإنسان نظرا شافيا علم أن أكثر الخلق قد هيئ له أسباب السعادة في الدنيا، حتى إنه يكره الانتقال من الدنيا بالموت، وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبدا مثلا أولا يحشر أصلا فليست كراهتهم للعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة، وإنما الذي يتمنى الموت نادر، ثم لا يتمناه إلا في حال نادرة ورافعة هاجمة غريبة، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلا، فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم، فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء[38]".

3. وكما يفيده النظر في الأمور الكونية كذلك يفيده المراقبة في مقاصد الشريعة وأسرارها، حيث يتضح له أن الله تعالى كيف يراعى مصالح عباده في شريعته وكيف يسر لهم رضاه وجنته بتيسير دينه مما يُستدل به على أن الله تعالى لا يريد أن يشقي عباده ولا أن يدخل عليهم المشقة، ومثل هذا الرب جدير بأن يرجى منه كرمه ورحمته،

فيقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

"ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة وسنتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في

---

(38) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (252/3).

البقرة من أقوى أسباب الرجاء، فقيل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا كلها قليل، ورزق الإنسان منها قليل، والدين قليل عن رزقه، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه؟[39]"

ثانياً النظر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية

هناك أنواع من النصوص نظر فيها الإنسان و أكثر من قراءتها والتدبر فيها فإنها تورث فيه رجاء من الله تعالى، منها:

1. النصوص الواردة في حسن الظن بالله ونماذج السلف والصلحاء من هذه الأمة والأمم السالفة في هذا الصدد، وقد مر ذكرها.
2. النصوص الواردة في بيان سعة رحمة الله وفضله والقصص الواردة في ذلك وقد مر بيان شيء منها.
3. النصوص الواردة في بيان سعة مغفرة الله والقصص ذلك، وقد مر بيان عدد منها
4. الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في تدبر هذا الكون والنظر فيه.
5. الآيات والأحاديث الواردة في بيان شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورحمته بأمته وشفاعته لها، فإنه أهم شيء يورث الرجاء في قلب المؤمن وأكبر دواء لمرضى اليأس والانكسار، كما قال الشاعر:

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

فقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى[40]﴾، قال: لايرضى محمد وواحد من أمته في النار، وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله[41]﴾، ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى[42]﴾[43]".

وبما أن شفقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته ورحمته بها من أسباب الرجاء لأفراد أمته، نذكر هذا السبب في فصل مستقل، إنشاء الله تعالى.

ثالثاً الاهتمام بالعمل

كما أن الرجاء يبعث الإنسان على العمل كذلك العمل الصالح يبعث الإنسان على أن يرجو من الله

---

(39) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (248/3).
(40) سورة الضحى، الآية برقم (5).
(41) سورة الزمر، الآية برقم (53).
(42) سورة الضحى، الآية برقم (5).
(43) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، (249/3).

الخير والمغفرة وحسن المثوبة، فكلما كان العمل الصالح أكثر كان الرجاء أكثر، وكلما كان العمل أقل كان الرجاء أشبه بالتمني والغرور كما بيناه من قبل، وقد ذكرنا أن من مواقع الرجاء الدعاء، فينبغي للمؤمن أن يدعو الله تعالى وهو مؤمن بالإجابة، ومما يزيد الإيقان بالإجابة هو العمل الصالح، كما جاء في حديث الغار:

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم، اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أني اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فأبطأت عليهما ليلة فجئت وقد رقدا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها فقالت اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقمت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا[44]،

ففي هذه القصة زاد كلٌّ واحد منهم عمله الصالح الخالص رجاءً من الله أن يستجيب له دعاءه، فاستجاب الله لهم، فعُلم من هذا أن العمل الصالح أيضاً يبعث على الرجاء،

روى الإمام البيهقي رحمه الله تعالى عن ذي النون بن إبراهيم "ذي النون المصري" قال:

صلاة الفرض مفتاح الخوف، والنافلة مفتاح باب الرجاء، وذكر الله الدائم مفتاح باب الشوق، وليس بالخوف ينال الفرض، ولكن بالفرض ينال

---

(44) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار برقم (3206)، وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم (4926)، كلاهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

الخوف، ولا بالرجاء تنال النافلة ولكن بالنافلة ينال الرجاء، ومن شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه، وهذا سر الملكوت فاعلمه واحفظه[45].

ومن الدليل على أن العمل الصالح يؤتى الرجاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [46]﴾،

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

عن الربيع بن أنس، قوله: أولئك يرجون رحمة الله، قال: هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء، إنه من رجا طلب، ومن خاف هرب[47].

وقال الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

عن عروة بن الزبير، قال: فلما فرج الله عن المسلمين، من أهل تلك السرية، ما كانوا فيه من غم، ما أصابوا طمعوا فيما عند الله من ثوابه، فقالوا: يا نبي الله! أتطمع لنا أن تكون غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [48][49]﴾.

رابعاً طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمر ونهى عن ربه تبارك وتعالى ومعلوم أن طاعة الرسول من طاعة الله كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [50]﴾،

ومن الآيات التي يستلزم الرجاء فيها طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [51]﴾،

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزوجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين[52].

وقال الإمام القاسمي رحمه الله تعالى:

وقوله: (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أي رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته[53].

---

(45) شعب الإيمان للإمام البيهقي، الحادي عشر من شعب الإيمان، (513/1).

(46) سورة البقرة، الآية برقم (218).

(47) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام ابن جرير الطبري، (320/4).

(48) سورة البقرة، الآية برقم (218).

(49) تفسير ابن أبي حاتم للإمام ابن أبي حاتم، (388/2).

(50) سورة الأحزاب، جزء من الآية برقم (80).

(51) سورة الأحزاب، الآية برقم (21).

(52) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، (391/6).

(53) محاسن التأويل للإمام القاسمي، (236/13).